

## فضائح الحرب

وما الحرب إلا ما علمت وذاقتم  
 متى يعيشها يعيشها ذميمة  
 فتعركم عرك الرحي بفالها  
 وتقع كشافاً ثم تجمل فتشمر  
 فتتج لكم ظلمات اشأم كلهم  
 كاحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

هذا ما قاله زهير بن ابي سلمى منذ أكثر من الف وثلاثمائة سنة . وقيل كتب احد  
 عن الحرب من ابناء هذا اللسان الأمتشهد به ولا سيما بقوله « تعركم عرك الرحي بفالها »  
 فان الحرب تطحن الناس طحناً كما تطحن الرحي حبوب الخنطة

ومدار الحرب على قتل الخصم أو اسره أو جرحه وتركه عاجزاً عن استعمال السلاح .  
 وقتله مباح في شرع كل الامم التي تبغ الحرب . وقد يتبادر الى الذهن انه اذا حل القتل  
 فكل شيء ودونه . ولكن العواطف البشرية التي تخضع للضرورة وتنفي عن قتل الخصم  
 تشتمر من تعذيبه وتنفرد من التنكيل بالذين لا يستطيعون حمل السلاح من المرضى والنساء  
 والشيوخ والاطفال . بل تنفر ايضاً من اطلاق كل ما منه نفع اذا لم يكن من اطلاقه فائدة  
 حربية . ولذلك قامت قيامة الكتاب على من ادعى ان عمرو بن العاص حرق مكتبة  
 الاسكندرية لانهم حسبوا حرقها جريمة لا تنتفرد . بل قامت قيامتهم على نيولون بوناپوت  
 لانه نقل الصور الشهيرة من ايطاليا الى فرنسا حاسبين ان تقاسم الفنون يجب ان لا تنقل  
 من مكان الى آخر على هذه الصورة لئلا تلتف في الطريق . ولو قتل نيولون اصحاب تلك  
 الصور في معركة من المعارك لما لامه احد بكلمة

وكنا نتظر ان نرى العمران سائراً من حسن الى احسن وان نجد العواطف الانسانية  
 آخذة في الارتفاع والتغلب على الايثار الوحشية ولا سيما في البلدان الاوربية الى ان ثارت  
 هذه الحرب فاذا فيها من صنوف الحمجية ما يندى له جبين البشرية خجلاً

لما تواترت الشكاوى من النطاق التي ارتكبتها الالمان في بلجيكا وفرنسا انتدبت الحكومة  
 الانكليزية لجنة من الكبراء المشهود لهم بالفضل والنبيل برئاسة لورد بريس لتبحث عن حقيقة  
 هذه الشكاوى فبحثت وبحثت وراحت تقريراً بذلك جاء هو وشواهد ككتاباً كبيراً شاهداً  
 لما يجول الفرض وتوخي الحقيقة كان اعضاءها من قضاة التحقيق الذين يقصدون تبرئة  
 التهم ولا يشتون عليه تهمة الا بعد توفر الادلة القاطمة

وكانت وزارة الداخلية الانكليزية قد انتدبت العلامة الاستاذ مورغان منذ نوفمبر الماضي لتحقيق بعض الفظائع التي ارتكبها الالمان فسلم الادلة والبيانات التي جمعتها لجنة المباحث اليها فاخترت منها ما يخص بلجكا لانها انما انتدبت للبحث في الفظائع التي ارتكبت هناك وامملت ما ارتكب منها في فرنسا فاخذها هو وازاد اليها بيانات وشواهد اخرى وقعت في يده وبعد ذلك واستخلص منها مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر فاقطعنا منها الحوارات التالية

## معاملة الجنود

المتفق عليه عند الامم المتحدة في هذه الايام ان الجنود التجارية تتقابل وتترامى بالرصاص والقنابل وتتضارب بالسيوف ونطاعن بالحراب ويمتهد كل جندي ان يقتل خصمه او يجرحه او بأسره، ومتى رأى ان خصمه سار خارجاً عن مقاومته بالقوة إما لجرح أصابه او لانه رعى سلاحه واستسلم عقابته جرياً على القول المأثور «الغزو عند المنذرة من شيم الكرام». ولم يقف عند ذلك بل عامله بالرفق كأنه اخوه فيطمعه ويقيوه ويؤامى جراحه. هكذا فعل الجنود الانكليزي والمصريون بالذين وقعوا في يدهم من جرحى الدراويش واسرام وهكذا فعلوا الآن في الذين وقعوا في يدهم من جرحى الاتراك واسرام. بل ان اسرى الاتراك ياملون في مصر الآن احسن مما يعامل به الراد الجيش الانكليزي وضباطهم. وقد جاءنا كتاب بالامس من الهند من اسير عثاني بغدادى في رتبة بوزباشي قال فيه انه يامل احسن معاملة بحكومة الهند تنفذه كل شهر ٢٧٠ ربية اي ١٧٥ غرشاً مصرياً وهو راتب النيوزباشي هذا ما تفعله الآن الحكومة المصرية والحكومة الهندية اللتان تسيطر عليهما الحكومة الانكليزية. وهذا ما نتوقه من كل حكومة متقدمة تجرى على القوانين الدولية التي اقرها عليها مؤتمر جنيف. بل ان دول اردبا كلها تقول ان هذه القوانين مقدسة لا يجوز الدبث بها اما الجنود الالمانية فقد عبثت بها عن قصد واتعمد على ما اثبت الاستاذ مورغان فقد قال ان بعض الالمان كانوا يرفعون الراية البيضاء وهي علامة التسليم فاذا تقدم اليهم بعض الانكليزي ليقبلوا تسليمهم وبأخذهم اسرى عادوا الى بنادقهم وكانوا قد اخفروها وقابلوهم بنار آسكلة او كانوا يرفعون الراية البيضاء طالبين المداكرة في التسليم فاذا دنا ضابط بريطاني منهم للمداكرة في ذلك اطلقوا عليه الرصاص وقتلوه. وقد تكررت هذه الحوادث مراراً عديدة حتى ثبت لى ان الالمان يفعلون ذلك مأمورين من ضباطهم. وكثيراً ما وضعوا الصليب الاحمر على مركبات فيها ذخائر لا غير لكي يخفى جانبها مع انه لا يجوز ان يوضع حسب قوانين الحرب الا على المركبات التي فيها جرحى او ما يتعلق بالجرحى. واذا رأوا اناس من

الانكليز والفرنسيين يحملون الجرحى حقيقة من ميدان القتال اطلقوا الرصاص عليهم حتى  
حتى لم يعد الانكليز يجسرون ان ينقلوا جرحاهم الا ليلاً . والجرحى الذين يصابون سبة  
الصباح يتركون في الخنادق الى ان يخيم الليل لا مغيث لم ولا معين مع ان اطلاق الرصاص  
على الجرحى يخالف اقواتين الحرب عند كل الدول

ومثل ذلك في النظافة قتل الجرحى المطروحين في ميدان القتال . قال الاستاذ مورغان  
انه كثيراً ما كان يحدث ان يرتد جنود الانكليز من امام الالمان ويتعذر عليهم ان يلتقطوا  
جرحاهم وياخذوم معهم ثم تأتيهم نجمة فيعودون الى حيث كانوا فيجدون الجرحى الذين  
تركهم اولاً قد طمنوا بالحراب ودفن رؤوسهم حتى ماتوا مع انهم لما تركهم كانوا  
مصايين بالرصاص فقط في غير مقتل

وقال ومن هذا القبيل قتل الاسرى فقد توفرت الادلة على ان الذين يؤسرون فرقاً  
صغيرة يقتلون كلهم والذين لا يقتلون يهانون اشد الاهانة فيسلبون ما معهم ويرفنون  
بالارجل ويهددون بالقتل حتى يجبروا عما يسألون عنه ويجبرون على حفر الخنادق

ويظهر من الادلة التالية ان معاملة الجرحى والاسرى على هذه الصورة سياسة مقصودة  
صدرت الاوامر بها من القواد العظام . ثم تبين ان هذه المعاملة خاصة بالبريطانيين واما  
الهنود فيعاملون بالرفق ويقال لهم ان المانيا تشفق عليهم لانها تعلم انهم مرغمون على الحرب .  
وكثيراً ما يطلق الاسرى منهم بعد ان يوصوا بان يأتوا برفاقهم وينضموا الى الجيش الالمانى  
قال لي جندي هندي ما يأتى

« وقعت انا وثلاثة من رفاقي جرحى فوجدنا الالمان كذلك وضعدوا جراحنا وطلبوا منا  
ان ننضم اليهم وعرضوا علينا مالاً وارضاي فقلت لهم اني اكلت ملح الملك فلا يمكثني اشد  
اخوته واجلب العار على قومي . فاخذوا منا البسماط الجان الذي معنا واعطونا بدلاً منه  
خبزاً من خبزهم فقلت لهم اتنا براهمة ولا يمكثنا ان نأكل من خبزهم فتركونا وهم يقولون اتنا  
اذا اسرناكم ثانية قتلناكم »

وفي الثالث من شهر مايو ذهبت الى وزارة الحربية في باريس فاراني الميورني  
رئيس فلم التضايا اليوميات التي وجدت مع اسرى الالمان فوجدت بينها يومية جندي اسمه  
غوش وقد كتب فيها بتاريخ ٦ أكتوبر ١٩١٤ ما ترجمته

« دعانا اليوزباشي وقال لنا المرجح انكم تجدون في الحصن ( انفوس ) جنوداً من  
الانكليز اما انا فلا ارى ان ارى اسرى منهم في يديكم فكان جوابنا له « براتو »

ويومية اخرى وجدت مع قبيل اسمه وتشرد جرود قتل في سبتمبر وفيها ما ترجمته  
« وهنا ايضا يعامل الانكليز والبلجيكيون باشد انواع القسوة فيقتلون بلا شفقة ولكن  
ويل لمن يقع في يدهم من الالمان »

والظاهر ان العبارة الاخيرة مبنيّة على ما كان الضباط الالمان يقولونه للجنود لكي لا  
يسلوا . ويؤيد ذلك ان جندياً ألمانيا اسمه شراكسب في يومئذ ان الضباط الالمان اخترعوا  
هذه التهمة لكي يتعمدوا هو ورفاقه من التسليم

ووجد في يومية جندي اسمه راغ جارنج ٢١ اكتوبر ما ترجمته « تبينا العدو وقتلنا  
كثيرين من الانكليز فانبذرت اشلأؤم في الارض والدين وجدناهم في الخنادق ولا يزالون  
احياء قتلناهم وامر بلوكنا ٦١ اسيراً » اي قتلوا الجرحى الذين وجدوهم في الخنادق

هذه شهادات الالمان انفسهم عما كانت بلوكاتهم الصغيرة تفعله من قتل الجرحى  
والاسرى . وقد وجدت بعد البحث الطويل ادلة قاطعة على صحة ذلك فقد نشرت الحكومة  
الفرنسية صورة الاوامر التي اصدرها امير البراه شينجر الذي يقود اللواء الثامن والخمسين  
وفيها بأمر جنوده ان لا بأسروا احداً بل يقتلوا كل من يقع في يدهم من اعدائهم سواء  
كان سليماً او جريحاً . لكن الحكومة الالمانية كذبت ذلك مدعية انه غير صحيح فبحثت عن  
هذه الاوامر حتى عثرت على نسخة منها وهذه ترجمتها

« اوامر عسكرية في ٢٦ اغسطس ١٩١٤ الى الجنود من البلوك السابع من الاي  
المشاة ١١٢ عند الدخول الى غابة سان بارب . من الآن فصاعداً لا يؤسر احد بل يقتل كل  
الاسرى ولو كان عددهم كبيراً ويجب ان لا تترك وراءنا احداً حياً »

لما اطاعت على هذا الامر العسكري الصريح اخذت البحث عن افعال الاي ١١٢  
الالمانى فوجدت في قلم الخبايا عندنا نتيجة التحقيق مع اسيرين من هذا الاي فقد قال  
احدهما ان الاوامر صدرت لالاهم بان يحسوا معاملة المتخدر واماموا الانكليز كما يريدون .  
وقال ايضا ان ٦٥ اسيراً من الانكليز قتلوا صبراً في ٢٣ اكتوبر في طريقهم الى ليل قتلهم  
الذين كانوا يحرسونهم في الطريق فدحوا على ما فعلوا . وشهد غيره من اسرى الالمان انهم  
كانوا مأمورين بقتل كل من يقع في يدهم من الانكليز

ووقع في بدنا اسير من هذا الاي بعد ذلك وقد كتب في مذكرته Keine Gefangene  
اي لا اسرى

ورأيت في اوخر ابريل في قلم الخبايا يومية اسير الماني اسمه رينهرت برينسن من

الالاي ١١٢ وفيها يقول « ثم جاء امر من اللواء ان الفرنسيين الذين يقعون في ايدينا سواء كانوا جرحى او غير جرحى يجب ان تقتلهم ولا تأسر احداً »  
وعندي ان هذا دليل قاطع على ان امير ذلك اللواء امر جنوده هذا الامر لاسيما وانه مؤيد بشهادات كثيرين من رجالنا الذين رأوا الالمان يطلقون الرصاص على اسرامهم ويقتلونهم . ولا يمثل ان جنود الالمان يقتلون ذلك من تلقاء انفسهم من غير ان يأمرهم ضباطهم

#### معاملة غير الجنود

اتي احصر كلامي في ما حدث في شمال فرنسا لان ما حدث في البلجيك جاء تفصيلاً في تقرير اللجنة المشار اليها آنفاً  
لما مر جنود الالمان في نواحي الايبر وهزبروك وبتون وليل اطلقوا الرصاص على السكان الذين كانوا يشاهدونهم في طريقهم من غير تمييز سواء كانوا فلاحين يحرثون ارضهم او مهاجرين هاربين من وجههم او فعلة عائدين الى بيوتهم واذا حاول احد ان يهرب من وجههم قتلوه لا محالة . واقتد كانوا يطلقون الرصاص على النساء والاولاد والمجانز كانوا ارانب ومن خالف اقل اسر لم فعقابه القتل حالاً . طلبوا مرة من قسيس كنيسة ان يعطيهم مفتاح بروجها ولما لم يجدهم حالاً اطلقوا عليه الرصاص وقتلوه . وطلبوا من راع ان يعطيهم خبزاً ولما لم يلبس طلبهم حالاً قتلوه . وحاول خباز ان يهرب من وجههم فربطوا عنقه بمزامير وخنقوه . وطلب ثلاثة وعشرون جندياً من امرأة ان تقدم القهوة لهم ولما لم يكن عندها من اللبن ما يكفيهم كلهم اخذوا ابنتها الرضيع من يدها وغطسوا رأسه في الماء التالي . وحاول رجل شيخ عمره ٧٧ سنة ان يخفي امرأتين في بيته ليخفيهما من البشاه فاطلقوا الرصاص عليه وقتلوه . وقد ذكرت هذه الامثلة مما لذي من الشواهد الكثيرة من غير انتقاء وهي تدل على اخلاق الجنود الالمانية . وكان يمكن حسابها من قبيل الفعالي الشاذة التي يرتكبها الجنود احياناً مخالفين بها اوامر ضباطهم ولكن كثرتها تدل على ان ضباطهم قد غرسوا في نفوسهم ان لا قيمة لحياة الانسان . وهناك فعال لا يمكن ان يأتيها الجنود الا اذا امروا بها امرأ كما حدث في بيلول ولاغورغ ودولبو حيث لم يبد السكان اقل مقاومة وكان الجنود مع ضباطهم فاخذوا السكان وامروهم ان يحضروا قبورهم بايديهم ثم وقفوا والضباط منهم واطلقوا عليهم الرصاص دفعة واحدة . وقد قتل في دولو ا ا تساً على هذه الصورة وهي قرية صغيرة وهؤلاء ليسوا من سكانها بل من سكان القرى المجاورة لها . واخذ الجنود ٢٥ رجلاً من سكان بيلول

ولم يجمع عنهم شيء بعد ذلك والمرجح انهم قُتلوا كما قُتل غيرهم . ولم يرجح عندي ان الذين قُتل  
 عنهم انهم أمروا بجفر قبورهم إنما أمروا بجفر الخنادق ثم طلب منهم ان يخبروا عما يعرفونه من  
 حركات الجيش ولما تنكأوا قُتلوا . ولكن كل ما فعله الالمان هناك غير جائز حسب قوانين  
 الحرب . وقد فرَّ بعض الاسرى الانكليز وقرروا ان الالمان كانوا يجبرونهم على حفر  
 الخنادق ووجد في بومية جندي سكوني ما ترجمته

« ان الاسيرين اللذين كانا معي عملاً شاقاً في حفر الخنادق وعند الظهر أمرت ان  
 اذهب الى القرية مع اسيرين فسررت لانني كنت مأموراً ان اقتلها اذا هجم الفرنسيون  
 واني اشكر الله لانني لم اضطر الى ذلك »

ثم ان من عدد الناس من يجبروا اهل كل بلد مسأولين عما يفعله واحد منهم فاذا اتفق  
 ان احداً اطلق بندقيته عرضاً ولو كان من الالمان انفسهم فالالمان يقتولون الرهائن التي عندهم من  
 اهالي البلد او يخربون بعض السكان ويقتلونهم او يقتلونهم كلهم . وقد يجبرونهم مسؤولون عن  
 اعمال الجنود الحربية فاذا ذهب بعض الجنود الفرنسيين للاستطلاع قرب قرية فرنسية  
 او بلجيكية عرضوا اهلها كلهم للقتل او للفرامات الفاحشة . وقد أمر شيوخ البلديات  
 الفرنسية سكانها ان لا يطلقوا بندقية مطلقاً وان يسلموا بنادقهم كلها لاولي الامر لكي لا  
 يبقوا سبيلاً للالمان عليهم ومع ذلك لم يسلموا من شرهم لانهم عاملهم بالنعث والافتئات  
 وحسبهم مسؤولين عن كل ما يتعمه او يكدر صفاهم فقد هددوا مرة شيخ بلدة بالقتل لان  
 غاز الفوه انقطع عن البلدة . وفتح جرس المحطة في بلدة اخرى فاقى الالمان شيخها وكادوا يقتلونه  
 لو لم يثبت لهم ان الذي فتح الجرس هو جندي الماني . فاذا اعتبرت الحلطة المليا حياة السكان  
 رخيصة الى هذا الحد فلا عجب اذا استخف بها الجنود وقتلوا السكان كما يقتلون الخنافس

#### الاعتداء على النساء

جنود الالمان مسجون كلهم والسجون يقدسون اوامر التوراة والانجيل ويقولون انها  
 اوامر الهية لا يجوز البيث بها . ومن اخص هذه الاوامر الوصية السابعة من الوصايا العشر  
 وهي « لا تزن » ويقول اليهود والمسيحيون ان الله تعالى كتبها باصبعه في رحي الشهادة . ومع  
 ذلك فقد فعل جنود الالمان فعلاً من هذا القبيل يستكف منها زوج اربيقية وتاباها  
 الوحوش الضارية . والحوادث التي استشهد بها الاستاذ مورغان تعاف النفس الاطلاع عليها  
 فيحذرنا القراء اذا ايضا تطيرها